

نفحات القرآن

[340] والسنة طرق حلّ الاختلافات في الأحكام والعقائد وما يتعلق بالشرع لكان إرجاع الاختلافات إلى الله عز وجلّ بلا معنى . * * * الآية العاشرة والأخيرة تقول كاستنتاج عام عن لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُنزِلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) وعليه فإنّ (الحكم والحاكم والفاضي) هو ذاته المقدّسة فقط لأنّه عالم بكلّ شيء ، والقرآن أفضل دليل على علمه (1). وأمّا السؤال عن أنّ الحكمية في أي شيء تكون ؟ فإنّ القرائن تشير إلى أنّ المقصود هو الإحتكام إلى الله في حقّانية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) . وشأن النزول الذي ينقل في هذا المجال شاهد على هذا المعنى حيث قيل : إنّ مشركي قريش إقترحوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن اجعل بيننا وبينك حكماً من اليهود أو قسّ النصارى ؟ كي يخبرونها عنك بما يتوفّر لديهم من كتب سماوية (2). فنزلت الآية وردّت : هل يكون الحكم أحداً غير الله ! وذيل الآية شاهد على هذا المعنى أيضاً بقولها : (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) . على كلّ حال فإنّ مفهوم الآية واسع ويحصر الحكمية لجميع الأمور دون _____ 1 - (حكم) كما يعتقد المرحوم الطبرسي في مجمع البيان والشيخ الطوسي في (التبيان) يطلق على من لا يحكم إلاّ بالحقّ في حين أنّ (الحاكم) يمكن أن يحكم بغير الحقّ ، ولكن لم يتوضّح من أين استفيد هذا المعنى إلاّ أنّ القدر المسلّم به هو أنّّه صفة مشبهة وتدلّ على الدوام والإستمرار ويطلق على من يحكم باستمرار ، والقصة المعروفة عن (الحكمين) في حرب صفّين شاهد على نفي هذا المعنى ، غير أنّ هذه الكلمة أو كلمة (حاكم) إذا استعملت في الله فإنّها إشارة إلى القضاء والحكم المنزّه عن كلّ ظلم وخطأ وليس لهذا إرتباط بالأصل اللغوي . 2 - تفسير روح المعاني : 8/7 .